# دعوة لقمان الحكيم ولغته ومنهجه في القرآن الكريم

.....


أ. م. د: عثمان محمود سعيدالله الآلاني
كلية العلوم الإسلامية /
جامعة السليمانية /
تخصص أصول الفقه /
وعضو مؤسس لمنظمة الحضارة (زيار) / للتربية والتنمية البشرية

أ. م: إبراهيم فتاح القره داغي
كلية العلوم الإسلامية/
جامعة السليمانية /
عضو مشيخة الحديث العراقية/
شيخ الحديث في محافظة السليمانية

# The language and method of Luqman al-Hakim in dawa in the Holy Quran

Othman MahmoodSaeedalla  Ibrahim Fatah Qadir

## Abstract

This paper is a sharing research that focus on the language and method of Luqman in his dawa, based on the Holy Quran. It highlights that language, method, and words that had been used by Luqman al-Hakim wich has been mentioned in the Holy Quran. One of the chapters of the Quran has been named (Luqman). In this chapter, the method of Luqman in his dawa (calling people to worship God alone) clearly manifested .

Despite that, his faith, worship, ethics, and social communication of Luqman, and his conversations between him and his son has been presented to us to be utilized wisely nowadays in the contemporary dawa. The paper connects relevant verses of concerning the Luqman'sdawa to the current dawa styles accurately.

# المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي أنزل القرآن لهداية الناس أجمعين، والصلاةُ والسلام الأتمانِ الأكملانِ على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمّدٍ (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله الطيّبينَ الطاهرينَ، وصحابته الكرام أجمعين، ومن دعا بدعوته، وتمسّك بسنته إلى يوم الدين.

أمّا بعدُ فوصية لقمان الحكيم من الوصايا التي خلّدها القرانُ الكريم، لِما لها من أهميّةٍ عظيمة، تلتقى بُنودُها وأهدافها مع الفضائل التي أرسل الله تعالى الأنبياءَ والرسل (عليهم الصلاة والسلام) لتحقيقها للبشرية في المعمورة كلها، ترتبط فيها العقيدةُ والأخلاق في مرجعيتها الإلهية، وتُحقّق التوازنَ في قيم الحياة الفردية والمجتمعية والإنسانية، إنّها تحتوي على أسسٍ راقية لتربية وتنشئة الأولاد وإعدادهم، وتمتين مقوّمات صلاحهم وفلاحهم ونجاحهم في الدارينِ، من خلال منهج شامل متكامل مع التنمية الإنسانية الصحيحة.

ونظرا لكل هذا وخصائصَ أخرى، أذهلتْ أفكار الدعاة وأنظارهم أصبحتْ بنودُها منهلاً للمربين والدعاة المخلصين، يَستقون منها المنهجَ القويم، والأسلوب المؤثرَ واللغة المائزة الملائمة في دعواتهم.

وقد قررّ الله سبحانه وتعالى أنْ لا يخلوَ المجتمعُ المسلم في كلِّ زمان ومكان من دعاة مؤمنينَ مهتدين مخلصين﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ التوبة/ من آية٧١، ثمّ قصر الفلاحَ عليهم، فقال تعالى: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ البقرة/ من آية (٥)٠

وبهذا كان لزاماً على كلِّ مؤمن أنْ يُساهم في التربية والإرشاد إلى الخير، وإبعاد العباد عن سبيل الشّر ما أمكنه، وفي مقدمتهم الوالدانِ، والمعلمونَ، والمربون، بل لا مؤمن بالله لا يشمله أداءُ هذا الواجب بموجب قوله (صلى الله عليه وسلم):" كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.. "[1].

ونظراً لكلِّ هذه الأهمية لِبَثِّ الدعوة والنصح بين العباد، ولأنَّ الله تعالى مَنَّ علينا بإنسلاكنا بين أهل العلوم الشرعية، أَحْبَبْنا أنْ نساهم ببحث مشترك في الموعظة والدعوة وأهميتها آملين أنْ يتقبّله الله تعالى منا، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وبما أنَّ الله تعالى قد مَنَّ على لقمانَ عليه السلام، وأَنْزل وصاياه ونصائحه في أعظم كتاب أنزله على أحبِّ عباده أَحْبَبْنا أنْ يدور البحثُ حول هذه الوصايا التي ركّز فيها الموصي المكرَّم بحكمة ربه تعالى على أهمِّ القيم الإيمانية والعباديَّة والروحية والأخلاقية، لكي نُسَلِّط بعض الأضواء على بنوده، ونُبيِّن بعضَ ما في منهج لقمان وأسلوبه ولغته من الأمور البلاغية المؤثِرة والآخذة بألباب المنصوحين والموعوظينَ.

وإضافة إلى ما قاله المفسرونَ في توضيح هذه الوصايا فقد تكلَّم عدد من الأفاضل من القدامى والمعاصرينَ على هذه الوصايا، وقدّم كلّ واحد منهم ما لاحظه ورآه مفيداً وجميلاً، ولكنَّ ذلك لا يسدُّ الأبواب على غيرهم ليدخلوا الى عالم دعوة لقمان، لإضافة شيء لم يقلْه الأفاضلُ أو صياغة تعبير لم يصوغوه، هذينِ الأمرينِ المسوغين لكل كتابة.

وإذا كانت وصايا لقمان نتيجة حكمة ربّانية كُرِّمَ بها هذا العبدُ الحبيب، فإنَّ في لقمانَ أسوةً حسنةً لكل المربين التربويين، وأولياء أمور الشباب والمراهقين أنْ يحذو حذوه في تربيتهم منتبهين الى نهجه ولغته وتحاوره المنسجم مع ميول الموصى ونفسيته، وتفسيره لكلّ شيء حوله، وهو لمّا ينضجْ نضجاً كافياً.

وبعد إمعان نظرٍ في أجزاء بحثنا إرتأينا أنْ تُعرَض أفكارُه في خلال مقدمة ومبحثين وخاتمة، ثمّ سرد لمصادر البحث.

أمّا المقدمةُ، فقد أفصحت عن نفسها، وأمّا المبحثان فهما كالآتي:

المبحث الأول: لقمان الحكيم ومعنى الدعوة وضرورتها، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن شخصية لقمان الحكيم:

أولاً: اسمه، ونسبه.

ثانياً: موطنه، وزمانه.

ثالثاً: أوصافه، ومهنه.

رابعاً: قدره، ومنزلته.

خامساً: أقوال العلماء في عبوديته، وحريته.

سادساً: القول بكونه نبيا.

المطلب الثاني: الدعوة معناها، وضرورتها.

أولاً: معنى الدعوة وأهميتها وضرورتها في حياة الفرد المسلم.

ثانياً: مدى إرتباط دعوة لقمان مع دعوة الأنبياء والرسل(عليهم الصلاة والسلام).

المبحث الثاني: وصايا لقمان الواردة في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصايا لقمان التي وجهت إلى بيان العقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: وصايا لقمان التي وجهت إلى بيان العبادات.

المطلب الثالث: وصايا لقمان التي وجهت إلى الأخلاق الحسنة الحميدة.

وأمّا الخاتمة فشملت على أهمّ النتائج التي توصّل إليها الباحثان من خلال بحثهما، يذكرانِ ذلك بنقاط متتالية.

وأخيرا نرجو مِن كلِّ مَنْ يرى بحثنَـا هذا أنْ ينظر اليه بعين الرضا لا السخط، غافرا عن كلِّ كبوةٍ يراها، أو هفوة يجدها، فالكمال لله تعالى وحده، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومَن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

# المبحث الأول:

# شخصية لقمان ودعوته، ويتضمن مطلبين:

## المطلب الأول:

## نُبذة موجزة عن شخصية لقمان الحكيم.

**أولا: اسمه ونسبه: هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر[٣].**

وقيل: هو لقمان بن باعوراء، أي: بالباء بدل النون وزيادة ألف بعدها همزة من آخره[٣].

وقال عبد الرحمن السهيلي[٤]: لقمان بن عنقا بن سرون[٥].

أمّا نسبُه فهو من أولاد آزر، كما ذكر ونصّ عليه النسفي[٦] والآلوسي [٧] أيضاً.

**ثانيا: موطنه وزمانه:**

هناك اختلاف في تحديد موطن لقمان، فقيل: إنّه من الحبشة، وهو ما رواه الإمام الطبري بسنده عن مجاهد، وعن ابن عباس وعن خالد الربعي [٨]، وروى بسنده أيضاً عن سعيد بن المسيب إنّه من السودان[٩]، وقال مرة: كان نوبيا [١٠] من السودان[١١].

وأمّا زمانه، فقد ورد فيه القول أيضاً، فقيل إنّه أدرك داود (عليه السلام) [١٢] وعلى ما ذكره ابن كثير(رحمه الله تعالى)، كان بين داود وجدّه إبراهيم الخليل(عليهما الصلاة والسلام) اثنا عشر رجلاً[١٣].

وذكر في حق لقمان قولاً آخر، يمكن أن يستدل به على زمانه أيضاً، ولكنّه لا يتناسب مع القول الأول، بل يتناقضان تماما، وهو ما ورد عند النسفي[١٤] والبغوي[١٥] أنّه كان ابن أخت أيوب (عليه السلام)، أو ابن خالته.

وأيوب وإن قرّر ابن كثير أنّه من ذرية إبراهيم (عليه السلام)[١٦] إلاّ أنّه ذكر بينه وبين إبراهيم(عليهما السلام) ستة رجال[١٧].

ولعلّ الراجح هو القول الأول؛ لوروده في مصادرَ كثيرة، تذكر أيضاً أنّه كان يفتي قبل مبعث داود، ثمّ ترك الفتوى بعد مبعثه (عليه السلام).

**ثالثا: أوصافه ومهنه.**

تكاد المصادرُ تجتمع على أنّ لقمان كان أسودَ[١٨]، وأنّه كان عظيم الشفتين مصفح القدمين، وفي رواية مشقّق القدمين[١٩].

وممّا ذكر من أوصافه أنّه كان رجلاً صمصامة[٢٠] سكيتاً، طويل التفكّر عميقَ النظر، لم يَنم نهاراً قطّ، ولم يَره أحد يَبزقُ، ولا يتنخّع ولا يبول، ولا يتغوّط، ولا يغتسل، ولا يَعبَث، ولا يَضحك، وكان لا يُعيد منطقاً نطقه إلاّ أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد، وكان قد تزوّج، و وُلد له أولاد فماتوا، ولم يبك عليهم، وكان يغشى السلطانَ، ويأتي الحكام لينظُر، ويتفكّر، ويَعتبر[٢١].

وممّا ذكر في مِهَنه أنّه كان يرعى الغنم[٢٢]، وقيل: كان نجاراً – بالراء– وفي (معاني الزجاج) كان نجّادا، بالدال، وهو من يعالج الفرش والوسائل، ويخيطها[٢٣].

**رابعا: قدره ومنزلته.**

لعلّ فيما ذكرنا من أوصافه جملةَ دلائل على رفعة قدره ، فهذه الصفات في ذرى الحميدية التي تجعل المتصّف بها من عظماء الرجال.

روى ابن أبي حاتم بسنده عن جابر موقوفاً قال:"إنّ الله رفع لقمانَ الحكيم بحكمته، فرآه رجلٌ كان يعرفه قبل ذلك، فقال له: ألستَ عبدَ بني فلان الذي كنتَ ترعى الغنمَ بالأمس؟ قال: بلى، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: قدرُ الله تعالى، وأداء الأمانة وصدقُ الحديث، وتركي ما لا يعنيني"[٢٤].

وممّا يدلّ على رفعة قدره وعلوّ منزلته أنّ رجلا قال له: أعجبني منك وطأُ الناس بساطك، وغَشيَهم بابك، ورضاهم بقولك!!قال: يا ابن أختي، إن صَغَيتَ إلي ما أقول لك، كنتَ كذلك قال لقمانُ:" غضي بصري وكفي لساني، وعفة طعمتي وحفظي فرجي، وقولي بصدق، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيّرني إلى ما ترى"[٢٥].

وممّا ذكر من منزلته الرفيعة أنّه كان يُفتي قبل مبعث داود(عليه السلام)[٢٦].

وروي أنّه عدّ من خير الناس فيما رواه الطبري بسنده عن ابن المسيب أنّه جاء رجل أسودُ يسأله، فقال له سعيد: لا تحزن لسوادك فإنّه كان من خير الناس ثلاثة من سودان، بلال، ومهجَع[٢٧]، ولقمان[٢٨]، وروي أنّه كان قاضياً في بني إسرائيل[٢٩].

**خامساً: القول في عبوديته.**

اختلف العلماء في ذلك، والأكثرون على أنّه كان عبداً[٣٠].

**سادساً: القول بكونه نبياً.**

قال الإمام البغوي (رحمه الله تعالى): اتفق العلماء على أنّ لقمان كان حكيماً ولم يكن نبياً، إلاّ عِكرمة، فإنّه قال كان نبياً، وتفّرد بهذا القول [٣١] وتبعه ابن كثير(رحمه الله تعالى) في هذا القول، ولكنّه أظهر الشكّ في صحة السند الى عكرمة، وقال: هذا القول رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة قال:"كان لقمان نبياً، وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف"[٣٢].

**سابعاً: رأي الباحثينِ في هذه الأخبار.**

الأخبار التي ذكرناها في هذا المطلب إنّما ذكرناها تأسيّا بمن ذكرها من المفسرين الأكابر الذين اعتمد أجلاء العلماء على أقوالهم، وهي ممّا لم يصرّح به لا القرآن الكريم ولا الأحاديث الصحيحة، فلهذا لا يمكننا أن نقطع بصحتها، ومع ذلك لا نستبعد احتمال صحتها أيضا، على أنّه يكفي لقمان فخرا وتبجيلا وتكريما إنزال الله تعالى

قصته ووصاياه، وحكمه في كتابه المنزل على أعظم رسله محمّد(صلى الله عليه وسلم) وأنّه كرّمه وآتاه الحكمة، فانطقه بحسن البيان وفصاحة اللسان، والإرشاد إلى الرشاد في آيات بيّنات تتلى الى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها[٣٣].

# المطلب الثاني:

# الخصائص المشتركة بين دعوة الأنبياء ودعوة لقمان.

ذكرنا أنّ لقمان عليه السلام كان حكيماً، ولم يكن نبياً، ولكنّ دعوته لابنه ركزت على بنود مهمة هي من أشدّ ما حرص الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) على تحقيقها في أممهم الذين أُرسلوا اليهم مبلغين رسالات ربهم في ربوعهم.

فلقمان (عليه السلام) أمر ابنه بأول واجب على المكلف وهو التوحيد في ضمن نهيه عن الشرك، كما أمره بالصلاة التي هي أكمل العبادات، وكذا البر إلى الوالدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مع الصبر على الشدائد، ونهاه عن التكبر على الناس، والمشي على الأرض بخيلاء وعُجب، وأن يقصد في مشيه، وكذلك في رفع صوته، وكل هذه النصائح يجعل من يلتزم بها من عباد الله الصالحين الفائزين بخير الدارين، كما نجد كلها ضمن دعوات الرسل (عليه الصلاة والسلام) على ما قصده القرآن الكريم في قصصهم ولا نرى داعيا لايراد هذه الآيات الواردة في تلكم القضايا هنا، لأنّها يتطرق إليها في المبحث الثاني بشيء من التفصيل.

# المبحث الثاني:

# وصايا لقمان الواردة في القرآن الكريم.

ممّا لاحظنا أنّ هذه الوصايا، ركّزت بالموعظة والإرشاد على جوانب مختلفة، ولهذا ارتأينا أن تُعرض مسائله في ثلاثة مطالب.

## المطلب الأول:

## مبدأ قصة لقمان ووصاياه التي وجّهت إلى بيان العقيدة الصحيحة

إبتدأ سبحانه وتعالى في بيان قصة لقمان عليه السلام بأنّه آتاه الحكمة، وكان من تأثير هذه النعمة العظيمة أنّه أدرك الحقيقة والخير والرشاد، فالتزم بجميع الصفات الحميدة، ودعا الناس إليها فقال تعالى في مفتتح قصته: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ"﴾ لقمان/ ١٢.

والحكمة سواء كانت العقل والفهم والفطنة[٣٤]، أم العقل والفطنة والإصابة[٣٥]، أم الفهم و والعلم والتعبير[٣٦]، فهي وضع الشيء في محله وإيرادُ كلِّ شئ كما يتطلبه الواقع، وتوفيق العمل بالعلم، وهي على كلّ الأحوال خير كثير، يكرّم به الله خواصاً من عباده﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ (البقرة من آية٢٦٩).

ثمّ فسرّ الله تعالى إيتاء الحكمة بقوله: ﴿ أَنِ اشْكُرْ للهِ﴾ (لقمان من آية١٢) وهذا هو الأنسب مع مَن أُوتي الحكمة، أي: شكر الله تعالى على ما أنعم به عليه، فكانت (أن) مفسِّرة على القول الراجح كما أكدّه العلماء[٣٧].

ولا يخفى أنّ هذا توجيه رباني لا يخص لقمان وحده أو ابنه، بل لا بدّ لكل مُن أوتي من نعمة أن يتوجّه بالشكر لربه تعالى، وهذا ممّا ينبغي أن يعتقده كلّ مؤمن.

ثمّ بيّن سبحانه وتعالى أنّ شكر الله عزوجلّ ليس إلاّ رصيداً نافعاً الشاكر نفسه، فالله تعالى غنيّ لا يحتاج إلى شكر شاكر، ليتضرر بكفر مَن كفر محمود بذاته، ولو لم يحمده مخلوق، أو محمود بالفعل، ينطق بحمده جميع الكائنات بلسان الحال[٣٨].

ويلاحظ أنّ الله تعالى لم يتعرض لكونه مشكوراً، وقد علّل المفسرون(٣٩) ذلك بأنّ الحمد متضمِّن الشكر أيضا، بل هو رأسه، كما قال الرسول(صلى الله عليه وسلم): (الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده)[٤٠].

وقد اشتملت الآية الكريمة السابقة على جملة توكيدات لمضامينها، فاللام في قوله تعالى(لقد) سواء كانت لامَ ابتداء مفيدة توكيد مضمون الجملة[٤١]، كما يقول بعض النحاة[٤٢]، أم لام جواب قسم كما يقول آخرون[٤٣]، فهي في الحالتينِ تفيد هي ومدخولها توكيداً[٤٤]، وكذلك القصر الذي أفادته (إنّما) من قصر الصفة على الموصوف يفيد توكيداً عند البلاغيينَ، بل أقوى أساليب التوكيد عند بعضهم[٤٥]، ثمّ التوكيد بـ (إنّ) الحرف المشبّه بالفعل التي تفيد توكيد نسبة خبرها إلى اسمها.

وربما لفت أنظارَ بعضٍ، الشرطان الواردانِ في الآية الكريمة، حيث ورد فعل الشرط في الأول (يشكر) مضارعاً، وفي الثاني (كفر) ماضياً، وهذا وإن كان الفعلانِ يفيدانِ بسبب الشرط معنى واحداً وهو المستقبل، إلاّ أنّ في ذلك نكتة بلاغية جميلة، وهي أنّ النعمة ما دامت تتكرر، لابدّ أن يتكرر الشكر أيضاً، فالذي يناسب ذلك هو صيغة المستقبل، حتى تتكرر الشكر لتكرر النعمة، أمّا الكفر فينبغي أن ينقطع فالذي يناسبه هو الماضي الذي انتهى بمجرد حصوله[٤٦].

وهناك نكتة أخرى في الآية الكريمة، وهي تقديم الشكر على الكفران فيها، في حين قال تعالى في سورة الروم، ٤٤: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

وممّا يقال في سبب ذلك هو أنّ الذكر في الروم كان للترهيب لقوله تعالى قبل ذلك"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ" الروم/ ٤٣ فيقدم الكفران، وفي لقمان للترغيب، لأنّه في معرض وعظ الأب لابنه بلين وحنان ومحبة فناسب تقديم الشكر[٤٧].

نرى لقمان مبتدءاً في وصاياه بالقضية الأولى وهي قضية الإيمان وعقيدة توحيد الخالق كأول واجب على المكلف، وذلك ضمن نهيه عن الشرك بالله تعالى كما قصّه الله تعالى آمرا نبيه (صلى الله عليه وسلم) بتذكر ما قاله لقمان لابنه، وعقيدة توحيد الخالق كانت نقطة بدء عند جميع الرسل(عليهم الصلاة والسلام) في تبليغ رسالاتهم، قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ لقمان/ ١٣، هكذا باستعمال أسلوب الوعظ الذي يتمثّل في التذكير بوجوه الخير وما يترتب عليه من حلاوة الثواب، والزجر المقترن بالتخويف عن وجوه الشر، ونتائجه المخزية المشينة، أسلوب رقيق تغمره الرأفة والتودد، يشعر الموعوظ باشفاق الواعظ عليه، فتّلمس رحمته شغاف قلبه، ولهذا عدّه النقاد أجمل الأساليب في التوجيه والإرشاد على مرّ الأيام.

ما أحق البدءَ بهذه الوصية !! ترسيخ عقيدة التوحيد وعدم الإشراك بالله تعالى، فهي الأهم لدى كل مربّ عاقل فاهم خبير.

ليتأكد المربون الواعظون التربويون أنّه لا استقرار للكون أبداً أبداً إلاّ في ظلال توحيده سبحانه وتعالى، والتمسك بدستوره، وقد حاول لقمان استخدام لغة تنسجم وأهمية دعوته ووصاياه بقصد غرسها وتغلغلها في أعماق فلذة كبده، الذي لا يقول له إلاّ الحق والخير، ولا يطالبه أبدا إلاّ بما يحقّق له السعادة والأمن والأمان في الدارين.

نادى لقمان ابنه قائلاً:" يا بُنَيّ" هذا الأسلوب الرقيق الذي يتقاطر حناناً وحبّا، مستخدماً حرف نداء البعيد لمنادى قريب قاصدا توكيد ندائه كما قاله النحاة[٤٨]، ثمّ صغّر ابنه تصغير اشفاق ومودة من أجل تقريب المسافة بين الداعي والمدعو، ومحو الحواجز النفسية على غرار الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في ندائهم أبنائهم[٤٩]، ومستعذباً اللفظة كما قال الشاعر[٥٠]:

ما قلت حبيبي من التحقير  بل يعذب اسم الشيء بالتصغير.

ولكون لقمان حكيماً، أدرك أنّ الإرشاد إلى الفضائل إنّما ينغرس في القلوب، إذا كان برفق ولين وتودد، فحتى القلوب الشاردة النافرة كثيراً ما تهتدي إذا قُوبلَت بالقول الليّن العذب الجميل.

وبعد أن هيّأ المجالَ لتقبّل وعظه، بلغ ما أراده فقال:" لا تُشرِك بالله" أي: أيّ مخلوق في هذا الكون الهائل لا من الأحياء ولا الجماد، فهو الإله وحده، لا شريك له لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لا حول ولا قوة إلاّ به تعالى، ولا أحدَ يتصّرف في ذرة من ذرات الكون الفسيح إلاّ بإرادته عزوجل.

ومن جمائل حوار لقمان في وصاياه، إرداف ما يقوله بعلته، وهو ما يُسكت المخاطبَ، ويحضّه على قبول ما ألقي اليه دونما جدل، وهنا زاد على التعليل إبرازه في صورة مؤكدة بـ (إنّ) واللام المزحلقة على خبرها، فقال:﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان/ ١٣ أمّا إنّه ظلم؛ لأنّه وضع الشيء في غير موضعه، أي: وضع العبادة في غير موضعها وهو وجه الله تعالى، وأمّا إنّه عظيم؛ لأنّ فيه تسويةً بين مَن لا نعمة إلاّ منه تعالى، وبين مَن لا نعمة له أصلاً.

وفي هذه الوصية العظيمة، توحيد الرب جلّ وعلا من هذا الرجل الحكيم، أسوة حسنة بل واجبه لجميع الآباء والمربينَ والتربويين في كل زمان ومكان، ينبغي أن ينهجوا هذا النهج في مفتتح دعواتهم؛ لأنّ توحيد الله تعالى زُبدة دعوة النبيين، وخلاصة رسالتهم عليهم الصلاة والسلام.

ونظراً لكون الخدمة قريبة من العبادة، والعبادة ممتنعة لغير الله تعالى فقد يُظنّ أنّ الخدمة كذلك ممتنعة لغيره سبحانه، بيّن سبحانه وتعالى أنّ الخدمة لا تمتنع، بل تكون واجبة لغير الله تعالى في بعض صورها، مثل الوالدين فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾ لقمان/ من آية ١٤، أي ببر والديه[٥١]، ورعايتهما[٥٢]، هذين الإنسانينِ اللذينِ بذلا لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما، وما ملكاه من الغوالي والنفائس، من غير ضَجَر، ولا شعور بضَرَر، بل بذلا ما بذلاه فَرِحَينِ غاية الفرح، وإلى بعض ذلك أشار وقال:﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ لقمان/ من آية١٤.

وهذا الأسلوب أنجَحُ الأساليب في مخاطبة الشباب، فهو الذي يخلُق عندهم نتائج مرجوة مثمرة، فهم في مرحلة من العمر تجعلهم يتأثرون بالانفعالات وتحريك المشاعر أكثر من الأوامر والنواهي، لذا يكون تأثرهم بالعواطف ومخاطبة القلب أشدَّ من توجيههم بالأدلة العقلية[٥٣].

وفي الآية إشارة الى أنّ لله على العباد نعمةَ الإيجاد ابتداءً بالخلق ثمّ نعمة الإبقاء بالرزق، وجعل للأم ما له صورة ذلك، وإن لم يكن لها حقيقة، فإنّ الحمل به يظهر للوجود، وبالرضاع يحصل التربية والبقاء، لذا وجب عليه عبادة الخالق، ووجبت عليه ما له شبه العبادة من الخدمة لوالديه(٥٤).

ولكون الوجود في الحقيقة من الله تعالى، وفي الصورة من الوالدينِ، جعل الشكر بينهما، فقال:﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ لقمان/ من آية١٤، أي: أشكر لي لأنّني خالقك والمُنعِم الأصلي عليك، ومنحتك الوالدينِ العطوفينِ الرَحيمَينِ، واشكر والدَيك، لأنّهما واسطة هذا الفيض عليك(٥٥)، وهذا يشعر بوجود الحقوق والواجبات، كما يُستفاد من هذه الوصية أنّ لقمان لفتَ نظر ابنه إلى ضرورة التماسك الأسري والاجتماعي حيث لابدّ من الصلاة بين الافراد، ولاسيّما من بينهم نسب وقرابة، وفي مقدمتهم الوالدان.

ثمّ حثُّه ابنَه على الشكر لله وللوالدينِ، إنّما كان للاعتراف بالجميل، وإحسان من أحسن اليه، فلا يسوغ للمرء العاقل جحودُ فضل الفاضلين عليه، كما يؤخذ منه وجود ردّ الجميل بالجميل، ولو كان بشكر عليه.

وفي قوله تعالى:" الَيَّ الْمَصِيرُ"، لقمان/ من آية١٤، أمر مهم يخصّ عقيدة المؤمن، فقد جاء لبيان الفرق بين نعمة الله تعالى ونعمة الوالدين، يعني إنّهما وإن استحقا الشكر بعد الشكر لله، لكن اعلم أنّ نعمتهما خاصة بالدنيا، أمّا نعمتي ففي الدنيا والآخرة، وليس مصيرك إلاّ إليّ على القصر الذي يؤخَذ من تقديم ما حقه التأخير.

أو يكون المراد بالجملة أنّ الله تعالى لما أمر بالشكر له وللوالدين، قال:" وهذا رصيد لك ينفعك عندي، فأنا أجازيك عليه، عندما رجعت إليّ"(٥٦).

ثمّ أكّدت الوصيةُ أهمية العقيدة، وضرورة تخليصها من شوائب الإيمان ونواقضه، حيث قررت أنّ (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)؛ لأنّ رابطة الولد بوالديه، مع كل هذا التشدّد والتكريم، إنّما تأتي في ترتيبها بعد وشيجة العقيدة، ولهذا قال تعالى:﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ لقمان/ من آية١٥، حيث تنحصر الطاعة لهما مستمرة إلى بدء هذه النقطة، وبعدها يسقط واجب الطاعة، فوشيجة العقيدة مقدَّمة على جميع الوشائج، فمهما كان لهما من الحق القديم، ومهما بذلا الآن من الجهود والحض لإقناعه أن لا يشرك بالله ما لا

علم له بألوهيته-وهو ما عدا الله تعالى-فليس له أن يطيعهما؛ لأنّهما كفرا بصاحب كلّ الحقوق، الذي أوجدهما وأعطاهما ابنهما.

وعندما خالف الوالدانِ ابنهما في العقيدة، فإنّ حقهما بالطاعة يسقط، ولكن يبقى حقهما في الصحبة، والمعاملة بالحسنى، ولهذا قال الله تعالى:﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ لقمان/ من آية١٥، أي: صحابا معروفاً، يرتضيه الشرعُ ويقتضيه الكرمُ والمروءة، كإطعامهما واكسائهما وعدم جفائهما وانتهارهما، وعيادتهما إذا مرضا، ومواراتهما إذا ماتا[٥٧]، فهي حياة قصيرة في فترة تمرّ مرّ الحلُم، فليكن لهما تعامل كريم، مقابل جهود بذلاها في تربيتك.

وتتجلّى في هذه النقطة الرائعة، عظمةُ هذه العقيدة، وهذا الدستور الرباني القويم الذي لا يضيع حقَّ ذي حقٍ في هذه الدنيا أبداً، مهما كانت مواقفه وعقيدته، فتبيّن للابن في الآية حتى آداب معاملة الوالدينِ الكافرين، لأنّ الإسلام لا يمنع مصاحبتهما، ومدّ يد العون والإحسان إليهما شريطة عدم الخروج عن طاعة الله تعالى.

كما يحمل هذا التوجيهُ في طياته رسومَ الطريق لما ينبغي على المربي أن يمشي عليه في توجيهاته، من الدقة وبيان الأمور بجزئياتها فلا يقضي عليها بتعميم وشمولية، بل لابدّ من التفصيل بين الأوجه المتفرعة التي قد تحتاج إلى أحكام مختلفة فيما بينها.

وعندما نهى الله تعالى الابن عن اتباع الوالدين الكافرينِ في عقيدتهما، لم يتركه حيران تائها في اللذين له الحق في اختلاطهم واتباعهم في عقيدتهم، فقال سبحانه وتعالى:﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ لقمان/ من آية١٥، الله أكبر من هذا التوجيه الرباني الكريم، وأعظِم بهذا السبيل الذي يوصلك الى السعادة الأبدية وأروع بالموصول وصلته :" مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ " أي: بجميع توجّهاته لم يتعلق بالدنيا وزخارفها، أناب الى الله تعالى ربّه وخالقه الذي بيده كلّ شيء في الدنيا والآخرة، فهذا السبيل هو الذي يوصلك الى برّ الأمان راضيا مرضيا.

كما يُكنّ هذا التوجيه في طياته إشارة إلى خطورة الرفاق والأصدقاء لهذه المرحلة من حياة الأولاد، حيث بوصوله المراهقة تجاوز مرحلةً كان فيها معتمداً على المربين، إلى مرحلة ينخرط فيها في أعمال ومشاغل معتمداً على

نفسه، وهذا يؤدِّي الى انخراطه في فئات من المجتمع، وهنا يستمع إلى ما تُمليه عليه أصحابُه مُتبعا سلوكا يستحسنونه أمامَه، ولهذا أمر بإتباع سبيل المُنيبينَ إلى الله تعالى؛ لأنّ في إتباعهم تحقيقَ فوزَ الدارينِ.

وفيه درس بليغ للمربينَ في كلِّ زمان ومكان، عليهم أن يُبيّنوا معايير القرارات على الرفاق، واختيارهم، حتى لا يضلوا الطريق، فيرافقوا أشراراً يؤدون بهم إلى الهاوية.

وفي ختام هذه الوصية يُنبّه الابن على أنّ اختيار الإنسان لعقيدة يمشي عليها، ليس من الأمور العابرة التي تفنى في هذه الدنيا وتنتهي، بل هناك حساب عليه في دار أخرى فقال:﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لقمان/ من آية١٥، هكذا بتغليب الخطاب على الغيبة، فهناك يجازى كلُّ واحد بما تبع وعمل من شكران أو كفران، أو توحيد أو شرك.

وممّا يجبّ اعتقاده في حق الله عز وجل، علمُه تعالى بكلّ شيء، ويبدو أنّ ابن لقمان كان شاكّاً في ذلك، فقد ذكر المفسرونَ أنّه رُويَ أنّ لقمان سأله ابنه أرأيتَ الحبّة تقع في مغاص البحر أيعلمها الله تعالى؟ فبيّن له كيفية علمه بالأشياء، واطلاعه عليها، فقال: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ﴾ لقمان/ من آية١٦.

هذه اللغة والكلمات والمبالغة التي استخدمها لقمان في ترسيخ عقيدة ابنه تجاه علم خالقه، كلّها يلفت الأنظار، صياغة مذهِلةً عامرة بالإيمان، متألقة باليقين، مدلولها يتغلغل في القلوب حتى الأعماق.

حبة الخردل لا ترجّح كفةً، وربّما لم تدركها بعض الأبصار، لو كانت هذه الحبة حسنة أو سيئة لعلمها الله، ولو كانت في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة، أو أعلاه كمحدب السماوات، أو أسفله كمقعر الأرض.

ونقل الشيخ الآلوسي رحمه الله تعالى:" إنّ خفاء الشيء وصعوبة نيله بطرق كغاية صغره وبعده عن الرائي، وكونه في ظلمة وباحتجابه فمثقال حبة من خردل إشارة إلى غاية الصغر، و في صخرة إشارة إلى الحجاب و في السموات إشارة إلى البعد و في الأرض إشارة إلى الظلمة "[٥٨]، ثمّ أشار الى علة الإتيان بها بقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان/ من آية١٦، أي: يصل علمه الى كلِّ خفي، عالم بكنهه.

هذا وما أحوج الأولادَ، مراهقين وشباباً، ذكوراً وإناثاً إلى معرفة هذه الحقيقية، أي: علمه تعالى بكلّ، صغير أو كبير، قريب أو بعيد، خفيّ أو ظاهر، فربّما زعموا عدم الإطلاع عليهم وعلى ما يفعلون، لو كانوا بعيدينَ عن أنظار الناس، أو في غرفٍ مقفلة، أو أماكن خالية، فعلى المربين أن يُطلعوهم على حقيقة علمه سبحانه وتعالى، وأنّه لا مكان في الكون الفسيح يتواجدون فيه إلاّ وهم تحت رقابة الله تعالى، وليس ذلك فقط، وإنّما يعلم حتى خواطر قلوبهم، وخفايا صدورهم.

نعم هذه الرقابة الإلهية هي التي تقتدر على القضاء على كلّ ما يُراد فعلُه من الخطايا والآثام، هي التي تضبط الإنسان المؤمن وتكّبل جوارحه ولا تسمح له بالمخالفة قيد شعرةٍ.

عندما علم الإنسان أنّه مراقبٌ دائماً، وتُسجَّلُ كلّ شيء يصدر منه ثمّ يُحاسَب عليه عسيراً، فقد يُحوّله هذا الإيمان أن يكون مستقيمَ التصرف، جميل السلوك، مهذّب النفس، طاهر الذيل في كلّ أوقاته سره وعلنه، ليله ونهاره، خلوته اختلاطه بيته ومجتمعه.

هنا ذكرنا العلم صفةً لله تعالى، ومن عقيدة المؤمن معرفة جميع أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الفعلية والجلالية والجمالية، إذ بمعرفتها يتعرف الإنسان على الله تعالى معرفة تامة، فلا يخاف أحداً سوى الله تعالى ولا يتوكّل على أحد غيره، ولا يطلب شيئاً إلاّ منه، ولا ينتظر لا دفع شرٍ ولا جلب نفع إلاّ من جهته عزّ وجل، معرفتها تعرِّفه بأنواع نِعَم الله تعالى عليه التي لا تُحصَى، فهو خلقه، ورازقه، وحفظه، وقوّاه، وستره، وأعطاه، فلا نعمة عليه إلاّ وهي منه، كما تخوِّفه من انتقامه وبطشه الشديد وجبروته، لذا يحسُن بالمرء أن يعيش في كلّ أوقاته بين الخوف والرجاء، فلا يقرُب المنهيات، ولا ييأس من رحمة الله تعالى[٥٩].

ويُلاحظ ورود أسماء حسنى لله تعالى في وصايا لقمان، وكلّها تعليل لأمر سبقه وتوضيح لما قد يشكل في نفس المُوصَى.

عندما بُيِّن أنّ الناس فيهم الشاكرون لله تعالى وفيهم كافرون، فإنّه قد يخطر بالبال أنّ الأولينَ نافعون لله تعالى، في حين قد يتضرر بكفر الكافرين، فلهذا ردّ هذه الخواطر مُبيِّنا بطلانها بذكر صفتي (غني حميد) حتى يعلم المُوصَى أنّ الله تعالى لا يحتاج إلى شكر أحدٍ، ولا يتضرر بكفره، فهو غني محمود في ذاته على كلّ الأحوال.

وعندما أراد أن يُبيِّن علم الله تعالى بدقائق الكون، حتى يعلَم مثقالَ ذرة من خردل في أيّ مكانٍ بعيد مُظلِم، علّل ذلك بقوله:﴿ إِنَّ اللهَّ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان/ من آية١٦، فلهذا يعلم كلّ شيء ولا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء.

فما أحوج المربيّنَ أن يحذو هذا الحذوَ، ويعرِّفوا أولادهم منذ صغرهم بالله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى ومعانيها، حتى ينضبطوا ويستقيموا بعد أن تيقنوا، أنّهم تحت مراقبةٍ، إلهية في جميع لحظات عمرهم.

# المطلب الثاني:

# وصايا لقمان التي وجِّهت الى بيان العبادات

ومن ذلك:

١- إرشاد لقمان ابنه إلى عماد عمود الإسلام، وهي الصلاة، إذ لا فائدة تُرتجَى من تربية الأولاد، مجرداً عن روحانية الصلاة، وما تتركه من الآثار الطيبة المريحة على الشعور والنفوس[٦٠].

ما أكثر فوائد الصلاة في مجال الأخلاق وتهذيب النفوس، فالمصلي يُحسُّ في دواخله إنّه مطيع لربّه، وإنّه يُناجيه مباشرة، يناجي ملك الملوك دونما حائل، فتغمر الرهبة كيانه، وتغشى الخشيةُ جنانه.

الصلاة تعوّد المرءَ على الانضباط، والشعور بقيمة الأوقات والالتزام بالمواعيد، فضلاً عن دوام الطهارة البدنية والنفسية، والبعد عن الفحشاء والمنكرات.

الصلاة منشطة للجوارح، منورة للقلب، مبيّضة للوجه، قامعة للشهوات، منزِّلة للرحمة، كاشفة للغمة، هي المدد الروحي الذي لا ينقطع والزاد المعنوي الذي لا تنضب شجونه أبداً.

الصلاة قرة للعيون، وحياة للقلوب، ولذة للأرواح، فهي الحياة والغذاء، والدواء والنور والشفاء.

وفي ديننا الإسلامي العظيم نصوص كثيرة جدّاً من القرآن والأحاديث الصحيحة تُطالب بالصلاة وتُعظِّمها، بل تجعلها الفرق بين الإيمان والكفر[٦١]، ومن بينها ما يأمر الأولياء أن يأمروا أولادهم بالصلاة[٦٢].

ولا شكّ أنّ الأمر بالصلاة في وصايا لقمان إنّما أتى من هذه الحيثية، فإذا ساغ للمؤمن ترك بعض العبادات، فلا إمكان أن تترك الصلاة أبداً أبداً.

ولكي يتعوّد الطفل والمراهقُ على الالتزام بهذه العبادة الإلهية الحتمية ويبتعد عن المنكرات المهلِكة، وحتى يتربى طاهرا نفسيا وبدنيا على المربّينَ كلِّهم آباءً وأمهاتٍ، معلمين ومعلمات، أن يأمروا مَن مكلفون بتربيتهم كي يلتزموا بهذه العبادة العظيمة التي لا مجال لتركها، في كلّ الظروف والأحوال.

وممّا يُلفِت النظر في هذا الطلب، لغة لقمان والصيغة التي أتى بها في طلبه:﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ لقمان/ من آية١٧، لأنّ الصلاة قد تكون أداءً، وقد تكون إقامة، وهناك فرق شاسع بين النوعين[٦٣].

فأداء الصلاة هو الإتيان بها بأركانها كاملة، ولكنّها تكون خالية من الحفاظ عليها ورعايتها، وتذوق حلاوتها، والتأثر بفوائدها، وهنا قد يذهب الذهن بعيداً في أحلام وخيالات، وينشغل القلب بفكر الأعمال والأشغال، وحتى لا يعلم المصلي كم صلّى وكيف صلّى وماذا قرأ وبمَ دعا.

أمّا الإقامة فتعني الحفاظ على الشيء ورعايته وإتمامه إتماماً كلياً، فهي تعني الجمع بين الخشوع في الصلاة والمحافظة عليها في أوقاتها والإلتزام بالتقوى، والسلوك القويم ما بين الصلوات الخمسة أي: في الأوقات كلِّها، فهي الصدق في خطاب الربّ الجليل، وحضور القلب في القرآءة والأدعية، وإظهار التذلل والعبودية المطلقة بين يدي الخالق العظيم.

٢- ومن العبادات:( الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة لله تعالى؛ لأنّه يقربنا إلى الله تعالى وكلّ ما هو كذلك من العبادات.

وهو شعيرة من شعائر الدين وبسببها نالت الأمة خيرتها: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ آل عمران/ من آية١١٠، فهو حِصْنٌ يحمي الدين من الخدوش، والمجتمع من الفِتَن وشرور الآثام ويمنعهم من نزوات الشيطان ونزعات الهوى، يحفظ العقيدة والسلوك والأخلاق.

لابدّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صوناً لتقاليد الجماعة الخيِّرة وعقائدهم وأفكارهم ومبادئهم، من أنْ يبعث بها كلُّ ذي هوى، وكلُّ ذي شهوة، وكلّ ذي مصلحة، حتى لا يحكم فيها كلُّ واحد بآرائه التي يهواها، لزعمه أنّ هذا هو الخير والمفيد والصواب[٦٤].

ونظراً لكون الأفراد متباينينَ في تصوراتهم وتقديراتهم تجاه المحاسن والمساوئ، فقد يوجد في كلِّ زمان ومكان أناس يفهمون الأمور على عكسها، حيث يرون القبيح حسناً ويسخرون من شعائر كريمة، فيتجاوزون الحدود متهاونين تجاه الالتزامات بالواجبات، مخالفين ما شرعه الله تعالى، فلا يمكن والحالة هذه أنْ يتركوا وهواهم، حتى لا يعمّ الفوضى، وينقلب المجتمع من العُلى الى الهاوية، لذا يجبّ على متنوري الأمة وأخيارها أنْ ينهضوا بالواجب الذي كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نهضوا بها، وهو انقاذ المجتمع من مخاطر العابثين المتجاوزينَ على الدين والشعائر والمقدسات، فيأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر بغية نجاتهم كلّهم من فتن لا تصيب الظالمينَ وحدهم عندما تنزل بهم.

ومن الملفت للنظر في وصايا لقمان أنّه دعا ابنه إلى حقائق وفضائل كي يتمسَّك بها حتى يَسْعُد في الدارين، وهنا لم يقفْ عند ذلك، ولم يكتف بأنْ يسْعُد ابنه وحده، بلْ أمره بأنْ يقوم هو أيضاً بدعوة الناس إلى هذه الحقائق والفضائل التي تعلّمها من أبيه، حتى يسْعُد الجميعُ، فيتكوّن منهم مجتمع مؤمن آمنٌ يحكمه شرعُ الله تعالى ودستوره.

الله أكبر من حكمة هذا الرجل وعظمة وصاياه!! إنّه لرديف وصايا الأنبياء الذين أُرسلوا لإنقاذ البشرية، أقارب وأباعد من الضلال والشقاء المهلكينِ المدمرَينِ.

٣- ومن العبادة أيضاً الصبر على المصائب:

وهذا أيضا ممّا وصّى به لقمانُ ابنه، وأَعْظِمْ بها من وصية!!.

فقد عَلِمَ الرجلُ الحكيم صعوبة أمر الدعوة، وما يلاقيه الداعون إلى الفضائل من الاستنكار، والردود، والشتائم، والتُهَمِ، والألقاب المستهجنة، بل أحيانا الضرب والتعذيب، والطرد والملاحقة، إنّه عَلِمَ أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمامه مصاعب كثيرة، ومواجهات عنيفة مع الذين يكرهون النور كُرْهَ الخفافيش، ويضوجون من التوحيد، والعدل والأمن والطهر، لعلمهم أنّ ذلك يُناقض مصالحهم الدنيئة، فيقفون تجاه دعاة الخير بكلّ قوة، سالكين كلَّ سبيل من شأنه أن يعُوق دعوتهم الشريفة.

فالداعي إلى الله تعالى عليه أنْ يضع نصب عينيه كلّ هذه الحقائق قبل البِدءِ بدعوته، ويقرّر أنّه سيصبر على كلِّ أذىً وإهانةٍ حتى يُتمّ أمره، ويحقِّق مبتغاه، بهذا انتصر الأنبياءُ والرسل(عليهم الصلاة والسلام) في تبليغ رسالاتهم، فقد وُوجهوا بالسخرية والاستهزاء، والضحك واللمز، والتنعيت بالسحر والكهانة، والجنون[٦٥]، ووضعوا الأذى في طريقهم، وعلى عواتقهم[٦٦].

إنّها سنة الدعوات، وما يصبر على ما فيها من مشقة، ويحافظ في طياته الصراع المرير على تقوى الله، فلا يشط فيعتدي، وهو يردّ الاعتداء، ولا ييأس من رحمة الله، ويقطع الأمل في نصره، وهو يعاني الشدائد، ما يصبر على ذلك كلّه إلاّ أولو العزم الأقوياء[٦٧].

١- ثمّ ختم الآية بقوله:" ﴿ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ لقمان/ من آية١٧، أي: من صواب التدبير الذي لا شكّ في ظهور الرشد فيه، وهو ممّا ينبغي لكل عاقل أنْ يعزم عليه، فتأخذ نفسه لا محالة به.

والعزم كأنّه من جملة الحزم، والأصل من قول الرجل: عزمْتُ عليك أنْ تفعل كذا، أي: ألزمته إياك لا محالة على وجه لا يجوز لك الترخّصُ في تركه[٦٨].

ومن أمر لقمان لابنه أنْ يصبر على ما أصابه إيماءٌ الى الابن بأنّه لا يجوز له ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما واجه المصاعب، والإيذاءَ والردود، بل عليه أنْ يصبر إلى نهاية المطاف، والوصول إلى تحقيق المراد.

## المطلب الثالث:

## وصايا لقمان الموجهة إلى الأخلاق الحسنة الحميدة.

لا يخفى ما للأخلاق الحسنة من المنزلة السامية في الإسلام، فتحقيقها في حياة الفرد والمجتمع، كان مهمة كبرى في رسالات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد دعوا اليها بكلِّ الوسائل، بل حصر الرسولُ العظيم محمّدٌ (عليه الصلاة والسلام) المراد من بعثته، على إتمام الأخلاق الحميدة، فقال :"إنَّما بُعثتُ لِأُ تمّم مكارمَ الأخلاق"[٦٩]، وذلك لأنَّ كلَّ ما يدعو اليه الرسولُ (صلى الله عليه وسلم) من الأمر بأدائه، والنهي عن الإتيان به يؤدِّي الالتزام به إلى تحسين الأخلاق بل أية أخلاق تكون أحسنَ من أخلاق من يلتزم بشرع الله ودستوره ؟.

ولقمان الذي كُـرّمَ بمنحه الحكمة منَ الله تعالى، دفعته حكمته الى الإعجاب بأخلاق الرسل، وبنود دعواتهم، لذا أرشد ابنه في وصاياه – كعادة الرسُل- إلى تحسين الأخلاق، والاتصاف بالصفات الحميدة، التي تُحبِّب صاحبَها إلى قلوب الناس، محبين مصاحبته، وعاشقين مكارمه، وذلك في لغة مائزة ضمَّختْ به روائع صور قشيبة تعبّئ روح السامع بالترشد والجاذبية وتستميل قلبه إلى الإذعان والإيمان بما دعا إليه.

فمن وصاياه في ذلكم المجال:

١- أرشد ابنه إلى قيمة تربوية غايةٍ في الأهمية في إعجاب الناس بشخصيته، وحبهم له، وتكريمهم إياه، وهي: (التواضع) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لقمان/ من آية١٨، أي: لا تتكبَّر، فتحتقرَ عبادَ الله تعالى، أو تُعرضَ عنهم بوجهك إذا كلَّموك.

وأهل اللغة مجمعون على أنَّ الصعر داء يُصيب الإبل فيلوي أعناقها[٧٠].

وما أروع الأسلوبَ القرآني، في هذا التشبيه، حيث اختار تعبيراً للتنفير من الحركة المشابهة للصعر، حركة الكبر، والازوراء، وإمالة الخدّ للناس في تعالٍ واستكبار[٧١]، فاعتبره أسلوباً حيوانياً نتيجة مرض، فلا يليق بإنسان مكرَّم أن يقلدَ حيواناً مريضاً، فالذي يوَلي خدَّه للناس عندما يتكلم معهم، هو بعير مصاب بالصغر!!، ما أقبحَ هذه

الصورة لدى العقلاء!!، تشبيه المتكبر بالبعير، بل هو أدون منه؛ لأنَّه في هذه الحالة يضيع عقله، ويفعل ذلك باختياره، بخلاف ذلك الحيوان الذي يخالفه في الأمرينِ كليهما.

وما أبعَدَ العقلاء من تعاظم النفس وغرورها!! من التكبر على الناس وتحقيرهم!! ولو عرف الإنسان بدايته ونهايته، لخجل من نفسه، بل لبكى ليله ونهاره، كان ماءً مهيناً، وسيكون جثة هامدة نتنة، تتشبَّع عليها الهوام والحشرات، فالعاقل العارف لا يرى أحداً إلاّ ويظنّ أنَّه أفضل منه، وبالغ بعضهم وقال: حتى الكافرَ، ومَنْ يدري أنَّه لا يُسْلِمُ يوما، ويتقرّب إلى الله تعالى، حتى ينسلك في زمرة الأولياء الصالحين؟.

ثمّ وصاه وقال:﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ لقمان/ من آية١٨، وهذه هي الوصية السابقة بعينها، أي: عدم التكبر على الناس وتحقيرهم، فما أروعَ التعبيرَ القرآني!! حيث كرر المعنى، ولكنْ بأسلوب مغاير، وهو ما يُسمّيه البلاغيون بـ (التوكيد بالجمل المترادفة) وذلك لعدم إثارة الملل والرتانة.

والمرح معناه: الفرحُ الزائد، والنشاط البالغ بما يتجاوز الحدّ الطبيعي، وهو نابع من التكبر والخيلاء، والشعور بالتعالي وقلة المبالاة بهم، والنظر إليهم بعين الإزدراء والمهانة[٧٢] يجهل أو يتجاهل أنَّه واحد مثلهم، بل قد يكون من بينهم مَن هو أفضل منه بكثير، فموازين القسط لله تعالى إنَّما تترجَّح في حقّ مَن هو أتقى، وأخلص، وأزهد، وأعبد لله تعالى.

وفيما أشرنا إليه درس بليغ، لكلّ المُربينَ، الآباء والوعاظ والتربويينَ، وهي التنوع من أساليب اللغة أثناء التحاور، وعدم تَكرار اللفظ لمرات عديدة؛ لأنّه يؤدي إلى كلل وملل من جانب الموعوظ، فبدل من أنْ يتعظ، ويتأثر بالنصيحة فإنّه على العكس قد يدفعه الملل من المسموع إلى التمرد والرفض والإباء.

وكعادته من إرداف الوصية بذكر عللها، علّلها قائلا: ﴿ إِنَّ اللهَّ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لقمان/ من آية١٨، أي: متكبِر، يُعَدِّدُ ما أعطاه الله تعالى ويفتخر به، من غير أنْ يشكره أو يعترف بنعمته.

وفي الآية من أوجه البلاغة لفّ ونشر مشوَّش، أي: بإيراد المختال مقابل الماشي فرحاً، وكذلك الفخور للمصعِّر خدّه كبراً[٧٣].

كما تتجلّى رحمته تعالى بعباده في استخدام لفظ (فخور) أي: بصيغة المبالغة (فإنَّ ما يكره من الفخر كثرته، فإنَّ القليل منه يكثر وقوعه) فلطف الله تعالى بالعفو عنه، وهذا كما لطف بإباحة اختيال المجاهدين الصفين، وإباحة الفخر بنحو المال لمقصد حسن[٧٤].

٢- ثمّ وصاه بتوصية أخرى تضيف إلى حسن الخلق جمالاً والى مَنْ يتصف بها هيبةً وبهاءً، وهو عدم الإفراط والتفريط أثناء المشي فقال تعالى:" وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ"، لقمان/ من آية١٩، أي: إمشِ مشياً مقتصداً، ليس بالبطيء المتماوت، ولا بالسريع المفرط، فهي وسط بين مشية المرح، والبطر والتكبر، ومشية المتماوت المتباطئ.

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: "سرعة المشي يُذهب بهاء المؤمن"[٧٥]، أي: هيبته وجماله، أي: تورثه حقارة في أعين الناس؛ لأنَّها تدلّ على الخفة. فالذي رسمه القرآن الكريم، هو الذي أثبته العقل والنقد والتجارب، فليس التكاسل مرغوباً في الحركات؛ لأنّه أمارة على الإهمال والتقاعس، واللامبالات كما لا يُحمَد إسراع مفرط يُثمر المقصود غير ناضج، ويُضيع الطاقة في التثني والإختيال، ويُظهِر الشخص متصنِّعاً متكلِّفا؛ لأنّ من يكون جديّاً في أموره ينطلق إلى مقصده بخطوات راسخة مطمئنة، وفي كلٍّ بساطة وهدوء.

٣- أخيراً أتى لقمان بمسك الختام لوصاياه، معلِّما إياه أسلوبَ الخطاب والتحاور مع الناس، ومرشدا إياه الى الهدوء والسكينة في ذلك، فقال:﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ لقمان/ من آية١٩، أي: انقص منه، مكتفيا بالدرجة التي توصل قصدك إلى مخاطبك، وتُفهمه إياه.

والغضَ من الصوت فيه التأدب، والثقة بالنفس وبما يقال واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته وحقيقته، وما يغلظ في الخطاب ويرفع صوته على الآخرين إلاّ سيّء الخلق، أو شاكّ في صدق قوله أو قيمة شخصيته أو ثقافته[٧٦]، أو عالم ببطلان ما يقوله فيرفع صوته في صورة متأكد من صحته، محاولاً أنْ يخدع الناس، فيسلّموا ما قدّمه اليهم.

وقد كان من عادات الجاهلية مفاخرتهم برفع الصوت، واعتبار ذلك من كمال الإنسان في محادثاته، وهنا أمر الله تعالى بخفض الصوت، وعدّ ذلك من جمال الخُلق، وكمال المروءة، وكأنَّ السياق يردّ الاعتقاد المذكور قائلا:" لا

تعدوا رفع الصوت من المكارم، وانظروا الى صوت الحمار، فرغم ارتفاعه البالغ، يُعدُّ أنكر الأصوات، وأكثرها إزعاجا لسماع السامعين".

وجدير بالذكر أنَّ الجملة تعليل للأمر بالغض على أبلغ وجه وأكده﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان/ من آية١٩، حيث شُبِّه الرافعون أصواتهم بالحمير، ومُثِّلَتْ أصواتُهم بالنهاق الذي أوله زفير، وآخره شهيق، فتكوّنتْ من النص صورة من أقبح الصور، فالذي له ذرة من العقل، لا يقترب رفع صوته أبداً حتى لا يخسر إنسانيته المكرَّمة.

وفي هذه الوصية الأخيرة إيماء بديع عامر بالإشعار والتنبيه على الحفاظ على حياة الناس الذينَ تخالطهم، وعلى مشاعرهم وراحتهم، فلا يجوز إيذاءهم أبداً، أيّا كان نوع الإيذاء، حتى ولو كان برفع صوتك.

# الخاتمة

لقد توصّل الباحثانِ من خلال بحثهما هذا إلى نتائج، لعلّ أهمّها:

١-سورة لقمان من السور المكية، تتكون من أربع وثلاثين آية، ووصايا لقمان فيها تتألف من ثمان آيات، وهي وصايا ثمينة في غاية الحكمة والدعوة إلى طريق الرشاد، وتتألف الوصايا من (١٨٦) كلمة، وبعد الاستقراء والتتبع من قبل الباحثينِ توصل الباحثانِ إلى أنَّ الله استعمل سبحانه على لسان لقمان بعضَ الكلمات لم ترد في القرآن الكريم كلِّه هذه الصيغ، والكلمات هي:( لقمان، وَهْناً، يَعِظُه، صاحِبْهُما، لا تُصَعِّرْ، خَدَّك، اقْصُد، مَشْيك، أغْضُض، أَنْكَر)، وهذه معجزة إلهية في القرآن الكريم حتى في السور الصغار والقصيرة تجد هذه المعجزةَ، مثلا سورة الإخلاص تجد أنَّ الله سبحانه استخدم بعضَ الكلمات لم ترد في غيرها (الصمد، لم يلد، ولم يولد)، وسورة الكوثر كذلك ورد لفظ(الكوثر) لم يُستخدَم في غيرها، وهذه النقطة بحاجة الى دراسة واستقراء كامل في القران الكريم، والباحثانِ يدعوانِ الباحثِينَ خاصة في مجال التفسير وعلوم القران إلى الكتابة والبحث في بيان هذه النقطة.

٢- ورود قصة لقمان، ووصاياه في القرآن الكريم، واخبار الله تعالى أنَّه آتاه الحكمة، دليل على أهمية هذه الوصايا التي وصّى بها ابنه وأنَّها نابعة من حكم الله تعالى، فلابدّ أنْ تكون نبراساً لكل التربويين والمربين، وفي كل زمان ومكان.

٣- وصايا لقمان ليس القصد منها ابنه وحده، كما يمكن أنْ يُفهم من لغته ذلك، ولكنّ وصاياه عامة لجميع الذين يُراد تربيتهم و إرشادهم إلى الفضائل، والطريق السويّ في حياتهم، فعلى جميع المربين أنْ يتبعوها ويركزوا على جميع ما ورد فيها تركيزاً دقيقاً.

٤- إنَّ هذه الوصايا مثال متميز لحوار الآباء مع الأبناء، باستخدام لغة متميزة، التي قام بها علماء النفس، أثبتت أهمية الحوار في التربية ولا سيّما إذا كان من الذين لا يشكّ في مودتهم وحبهم الشديد للمنصوح، مع كونها بلغة مائزة، تتناسب وأذواق مَنْ يُنصحون، وأفكارَهم، ولا أحد يستطيع أنْ يُنكرَ أنّ وعظ العباقرة العقلاء ونصائحهم لم يُؤثِر فيه يوما من الأيام.

٥- يُلاحظ من النص القرآني أنَّ توصية الناس تحتاج إلى صفات حميدة في الموصِي، بأنْ يكون مؤمنًا، مخلِصًا، يرجو في وصاياه رضا الله تعالى فقط، ذا خبرة وتجارب، فأنت ترى أنَّ لقمان أُوتي الحكمة أولاً- وهي الإتيان بالشيء كما ينبغي-ثمّ قام بتوجيه وصاياه، فليس كلِّ واحد إذن أهلاً ليعظ الناسَ.

٦- يُرشد وصايا لقمان إلى وجوب بدء الداعي من الأصول إلى الفروع، والمتفق عليه قبل المختلف فيه، كما في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ لقمان/ من آية١٣، فهذا دعاء إلى أصل الأصول وهو التوحيد، فإذا لم يتحقق ذلك، فلا فائدة تُرْتَجَى من أيّ عمل صالح﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾الزمر/ من آية٦٥، وقد استخدم في لغته عدة أساليب للتوكيد، مثل الحرف(إنَّ) المفيدة توكيد نسبة خبرها الى اسمها، واللام المزحلقة على خبرها.

٧- يجبّ أنْ تكون الوصية بالتي هي أحسن، وإظهار الودّ والمحبة للموصَى، كما يتجلّى ذلك من لغة لقمان في قوله:" يا بُنَيَّ" إذ التصغير للمحبة، وتقريب المسافة بينه وبين المدعو، ومحو الحواجز النفسية كلِّها.

٨- على المربِّي أنْ يغرس في قلب مَنْ يوصيه حبّ التآلف مع الناس، والاختلاط بهم ورعايتهم، مع الوفاء للذين لهم حقوق عليه، وهذا ما يتجلّى من وصايا لقمان في التركيز على توحيد الله تعالى وعبادته، لأنَّه أنعم عليه بكل نِعَم، وعلى طاعة والديه اللذَينِ كانا في الظاهر سبب مجيئه إلى هذه الدنيا، بإرادته تعالى.

٩- لابدّ أنْ يُعلَّم الموصَى بأنّ الطاعة المطلقة تكون لله تعالى وحده، فإذا تعارضتْ طاعةُ مخلوق-أيّاً كان- مع طاعة الخالق وجب أنْ يُطاع الخالق، وهذا ما تفيده الوصية "وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا" لقمان/ من آية ١٥.

١٠-على المربي أنْ يُبَيِّنَّ للموصَى أنَّ الذين حوله، فيهم الأخيار، وفيهم الأشرار، والصالحون والفاسدون، فعليه أنْ يتجّنب الأشرار الفاسدين حتى لا يذهبوا به إلى الهاوية، وهذا ما يثبته قوله تعالى:" وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ" لقمان/ من آية ١٥.

١١-وممّا يُلفت النظر في لغته تجلى حكمة عظيمة من استخدام اسم الموصول في قوله تعالى: "مَنْ أنابَ إليّ" لقمان/ من آية١٥، فهو من ألفاظ العموم، ويُرشد إلى الذي يستحق المصاحبة، وهو الذي يعبد الله تعالى، ويرجع إليه

في أموره كلِّها، أيّاً كان هذا المنيب، قريبًا أو بعيدًا، أبيض أو أسودَ، حرًا أو عبدًا، غنيًّا أو فقيرًا، رئيسًا أو مرؤوسًا، فلا قيمة في ميزان الله تعالى لا للنسب ولا الحسب ولا الطائفية ولا العرقية، أبداً أبداً.

١٢-لابدّ أنْ يُعرَّف الموصَى بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الجليلة، وأنّه عالم بالسرائر، ولا يخفى عليه شيء- ذرة أو أصغر- في الأرض ولا في السماء، ومرجع العباد كلِّهم إلى الله تعالى وحده، وهناك يُخبر الكلَّ بما فعلوه من الحسنات والسيئات، وبهذا يتعوّد الموصى على التقوى، ويعيش دائما بين الخوف والرجاء، ينتظر رحمة الله تعالى ولا يأمن من عقابه الشديد.

١٣-يجبّ أنْ يُخوِّف الموصى بأنَّ الحرام لا فرق بين كثيره وقليله، فلا يستهان بما قلَّ خيرًا أو شرًا، حتى لو كانا كحبة خردل، فإنَّ الله تعالى يأتي به يوم القيامة، ويجازي عليه.

١٤-يُؤخذ من وصايا لقمان أنَّ الواجب في تربية الأبناء أنْ ينشأوا على الصلاة مبكرًا، حتى يعلم الابن في صباه عظمة هذه العبادة في الإسلام حتى ورد الأمر بذلك في الحديث الصحيح والحسن، فلا ترك للصلاة أبداً أبداً. ولغة لقمان تلفت النظر في استخدام صيغة (أَقِمْ) بدل غيرها مثل(أدِّ) وما شاكله؛ لأنَّ (إقامَة) الصلاة تفترق كثيراً عن الأداء كما بيّنا ذلك في ثنايا البحث.

١٥-من عظمة وصايا لقمان، أنَّه لا يريد الخير لولده وحده، بل أمره أنْ يُقلِّد هو أباه أيضاً، ويدعو الناس إلى الفضائل وترك الرذائل، كما قال :" وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ".

١٦-وما دام أنَّه حكيم، فقد تيقَّن أنَّ طريق الدعوة إلى الفضائل شائك دائماً، كما ثبت ذلك على مرِّ التأريخ لجميع الدعاة، وكان القسط الأوفر للأذى والإهانة، والطرد والملاحقة، من نصيب الأنبياء والرسل(عليهم السلام)، لذا أراد لقمان أنْ يعلم ابنه هذه الحقيقة أولا، وأنْ يتجلّد ويستمرَّ في دعوته مهما كانت الشدائد ثانياً، كما أعلمه بأنَّ الصبر والاستمرار، من الأمور المعزومة المقررة التي لا يمكن تركها أبداً، فقال:" وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" وما أبلغ هذا الدرس لكل الدعاة في كلِّ زمان ومكان!!.

١٧-يؤخذ من هذه الوصايا، أنَّ المربِّي لابدّ أنْ يتخلَّق بأفاضلِ الأخلاق لا يتكبر على الناس، ولا يحتقرهم؛ إذ كيف يليق بالعاقل أنْ يصف الدواء لذي السقام وذي الضَنا، وهو في داخله سقيم يحتاج إلى تقويم.

١٨-من المهمّ الذي يؤخذ من هذه الوصايا، أنَّ على المربِّي وكذا كلّ الذين يحكمون على الأشياء أنْ يأتي بالتعليل والأدلة لكل ما يدعو اليه أو يحكم عليه، أمراً أو نهياً، حتى يطلع الموعوظ على سرِّ دعوته، والخير الذي يكمن فيها، وهذا ما فعله لقمان في وصاياه، فعندما نهى ابنه عن الشرك عللّه بقوله: " إِنَّ الشِرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم"، وعندما وصّى الابنَ بالإحسان إلى الوالدينِ عللّ ذلك بحقوقهما عليه فقال:" حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ"، وعندما أعلمه بمدى علم الله تعالى حتى بذرات هذا الكون أين كانتْ، علل ذلك بقوله: " إِنَّ اللهَّ لَطِيفٌ خَبِيرٌ"، وعند معرفة سرِّ النصيحة، يكون المنصوح أحرص على تقبلها، والإلتزام بها.

١٩-يؤخذ من الوصايا أنَّ على المربي أَلاّ يكرِّر الدعوة بألفاظ تعوَّد عليها، لأنَّ في التكرار مللا يؤدِّي إلى انزعاج الموصى وتمرُّده، فقد لاحظنا لقمان نصح ابنه بأنْ: (لَا تُصَعِّرْ خَدَّه لِلنَّاسِ) ثمّ نهاه عن المشي في الأرض مرحا، وكلا القولين يراد به عدمُ التكبر على الناس وعدم تحقيرهم، ولكنَّه كرّر الكلام بلفظ مغاير وإضافة شيء جديد.

# المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١- الأدب المفرد، للإمام محمّد بن إسماعيل البخاري، حققه: فريد الجندي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢- التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبي عبدالله البخاري الجعفي، حققه: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

٣- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير(ت: ٧٧٤هـ) دار ابن الجوزي، القاهرة، (٢٠٠٩م).

٤- تفسير النابلسي، للدكتور محمد راتب النابلسي، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، ط١، (٢٠١٧م).

٥- ته فسيري كوردي له كه لامي خوداوه ندي، مه لا محمدي كه وره ي كويي(ت: ١٩٤٣م) ده زكاي جاب و به خشي حه مدي، ط١(٢٠٠٩م)/ التفسير الكوردي لكلام الله تعالى، للملا محمد الكبير الكويي(ت: ١٩٤٣م) مؤسسة الحمدي للطبع والنشر، ط١(٢٠٠٩م).

٦- تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبي الحجاج المزي، حققه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٧- جامع البيان عن تأويل آي القران، لابن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ) دار الفكر بيروت، (٢٠٠٥م).

٨- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت.

٩- الجنى الداني، لحسن بن قاسم المرادي، (ت: ٧٤٩هـ) حققه: الدكتور طه محسن، مطبعة جامعة الموصل، (١٩٧٦م).

١٠-الحفاية بتوضيح الكفاية، للشيخ عبد الله محمد البيتوشي(ت:١٢١١هـ) حققه الدكتور: طه صالح أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،(٢٠١٢م).

١١-الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة، لمحمد عبد الواحد السوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (٢٠١٥م).

١٢-روح المعاني، للسيد محمود الآلوسي(ت: ١٢٧٠هـ) دار الفكر بيروت، ط١،(٢٠٠٣م).

١٣-السلسلة الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني(ت: ١٤٢٠هـ) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، (٢٠٠٢م).

١٤-سنن أبي داود، لسيمان بن الأشعث(ت: ٢٧٥هـ) دار السلام الرياض، ط١،(١٩٩٩م).

١٥-سنن البيهقي، للإمام أبي بكر البيهقي، (ت:٤٥٨هـ) دار المعرفة بيروت،(١٩٩١م).

١٦-سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد الترمذي، (ت:٢٧٩هـ) حققه: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ط١، (١٩٣٨م).

١٧-سنن الدار قطني، لعلي بن عمر البغدادي،(ت:٣٨٥هـ) طبعة هاشم عبد الله اليماني، القاهرة، (١٩١٩م).

١٨-سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٩، ١٩٩٣م.

١٩-شرح السنة، لحسين بن مسعود البغوي، دار النشر: المكتب الإسلامي، دمشق بيروت، ١٩٨٣م، ط٢، حققه : شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش.

٢٠-شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حققه: محمد السعيد بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢١-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي، حققه : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

٢٢-صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان البستي، (ت:٣٥٤هـ) مؤسسة الرسالة بيروت، حققه الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٢، (١٩٩٣م).

٢٣-صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري(ت:٢٥٦هـ) ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الاعتصام، القاهرة، بدون رقم الطبعة وتأريخها.

٢٤-طبقات ابن سعد، لمحمد بن سعد الواقدي (ت:٢٣٠هـ) دار صادر بيروت، ط١، ١٩٥٧م.

٢٥-عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، (ت:٨٥٥هـ).

٢٦-فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني، (ت:٨٥٢هـ) المكتبة العصرية بيروت، (٢٠٠٥م).

٢٧-في ظلال القرآن، لسيد قطب، (ت:١٩٦٦م) دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون رقم الطبعة وتأريخها.

٢٨-قصص الأنبياء، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، (ت:٧٧٤هـ) مكتبة النهضة بغداد، ط٢(١٩٨٦م).

٢٩-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩م.

٣٠-لسان العرب، لابن منظور، (ت:٧١١هـ) دار صادر بيروت، ط٦، (٢٠٠٨م).

٣١-مدارك التنزيل(تفسير النسفي)، لعبد الله بن أحمد النسفي، (ت:٧١٠هـ) دار إحياء الكتب العلمية، عيسى البابي الحلبي، بدون رقم الطبعة وتأريخها.

٣٢-المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، دائرة المعارف النعمانية، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٩٢٢م.

٣٣-مسند أحمد، لأحمد بن محمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ) طبعة بولاق القاهرة، ط٢، (١٨٩٥م).

٣٤-مصنف عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢ ، ١٤٠٣هـ.

٣٥-معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي(٥١٦هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، (١٩٥٥م).

٣٦-معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت الحموي(ت: ٦٢٧هـ)، دار صادر بيروت، بدون رقم الطبعة وتأريخها.

٣٧-مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي(ت:٦٠٤هـ) دار الفكر بيروت، ط١، (٢٠٠٥م).

٣٨-موسوعة نضرة النعيم، لجماعة من العلماء، دار الوسيلة للنشر والتوزيع(١٩٩٨م).

٣٩-الموطأ، للإمام مالك بن أنس(ت: ١٧٩هـ) ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بدون رقم الطبعة وتأريخها.

٤٠-موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لمحمد جمال الدين القاسمي(ت:١٩١٤م) دار الفكر بيروت، بدون رقم الطبعة وتأريخها.

٤١-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى (ت:٧٤٨ ه)، حققه: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

٤٢-الوابل الصيّب من الكلم الطيب، لأبي عبد الله ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) مكتبة الفرقان، المدينة المنورة، ط٢، ٢٠٠٨م.

# الهوامش

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر(رضي الله عنهما) كتاب: الجمعة، باب: باب الجمعة في القرى والمدن، رقم(٨٩٣) وابن حبان في صحيحه(١٠/ ٣٤٢)، رقم(٤٤٨٩)، قال شعيب الأرناؤوط:" إسناده صحيح على شرطهما " وغيرهما.

(٢)ينظر معالم التنزيل للإمام البغوي (٥/ ٢١٥).

(٣)روح المعاني للعلامة الآلوسي(٢٢/ ٩٧)، مدارك التنزيل للنسفي(٣/ ٢٨٠-٢٨١).

(٤)هو عالم الأندلس، أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد السُهيلي المالقي، توفي سنة(٥٨١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ١٥٧).

(٥)روح المعاني(٢٢/ ٩٧).

(٦)مدارك التنزيل(٣/ ٢٨٠).

(٧)روح المعاني(٢٢/ ٩٧).

(٨)جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري(٢٢/ ٧٢).

(٩)المصدر نفسه(٢٢/ ٧٢).

(١٠)نسبة الى نوبة بلاد واسعة جنوب مصر، ينظر: معجم البلدان(٥/ ٣٠٩)

(١١)جامع البيان(٢٢/ ٧٣)، و ته فسيري كوردي له كه لامي خوادا وه ندي(٧/ ٢٢١) (التفسير الكوردي في كلام الله) باللغة الكوردية للملا محمد جليزاده الكويي(ت:١٩٤٣م).

(١٢)المصدرين السابقين.

(١٣)قصص الأنبياء(٤٨٤).

(١٤)مدارك التنزيل(٣/ ٣٨٠).

(١٥)معالم التنزيل(٥/ ٢١٥).

(١٦)جاء في تفسير آية (٨٤) من سورة الأنعام (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)، على أنّ الضمير عائد الى إبراهيم دون نوح (عليهما السلام)، تفسير ابن كثير(٦/ ١٦٢) .

(١٧)قصص الأنبياء(٢٦٧).

(١٨)ينظر: جامع البيان(٢٢/ ٧٢)، مدارك التنزيل(٣/ ٢٨٠)، تفسير ابن كثير(٦/ ١٦٢).

(١٩)رواه الطبري في تفسيره عن مجاهد، ينظر: (٢٢/ ٧٢)، تفسير ابن كثير(٦/ ١٦٢).

(٢٠)قيل كلمة حضرمية تعني الشخص المؤدب المحترم النزيه الطيب.

(٢١)تفسير ابن كثير(٦/ ١٦٢).

(٢٢)معالم التنزيل(٥/ ٣١٥).

(٢٣)روح المعاني(٢٢/ ٩٨).

(٢٤)تفسير ابن كثير(٦:١٦٢).

(٢٥)تفسير ابن كثير(٦/ ١٦٢).

(٢٦)مدارك التنزيل(٣/ ٢٨٠).

(٢٧)مهجع بن صالح مولى عمر بن الخطاب من أهل اليمن، أصابه سبي، فمنّ عليه عمر، كان من المهاجرين الأولين، قيل: كان أول شهيد يوم بدر.

(٢٨)جامع البيان(٢٢/ ٧٣)،تفسير ابن كثير(٦/ ١٦٢).

(٢٩)معالم التنزيل(٥/ ٢١٥).

(٣٠)ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٧٢)، تفسير ابن كثير(٦/ ١٦٢)، روح المعاني(٢٢/ ٩٨)، في ظلال القران(٦/ ٤٨٣).

(٣١)معالم التنزيل(٥/ ٢١٥).

(٣٢)تفسير القرآن العظيم(٦/ ١٦٢)، وتوضيحا لما قاله هذا المفسر المحدث نقول:" اختلف العلماء في جابر، حيث أثنى عليه جمع، منهم : الثوري، وشعبة وزهير بن معاوية وزائدة وابو حنيفة، وليث بن أبي سُليم وإبراهيم الجوجزاني وسعيد بن جبير، وقال النسائي: متروك الحديث، ليس بثقة ولا يُكتب حديثه". ينظر: التاريخ الكبير(٢/ ٢١٠)، تهذيب الكمال(٤/ ٨٧٩)، ميزان الاعتدال(١/ ٣٧٩).

(٣٣)وذكر الأستاذ الدكتور راتب النابلسي في تفسيره تفسير النابلسي(٩/ ٤١٣-٤١٤) كلاما جميلا وقال :"العلماء اختلفوا هل كان هذا الحكيم الذي ذكره الله تعالى نبيا أم عبدا صالحا؟ وهنا تبرز قضية مهمة في القران الكريم هي أنّه ذكر أشياء وسكت عن أشياء، ولكل حكمة بالغة، وإذا أراد الله تعالى عزوجل لحكمة بالغة أن يُغفِل إذا ما كان هذا الحكيم نبيا أو غير نبي.....وقال: ألم يكن بالإمكان أن يقول الله عزّ وجل: إنّ لقمان كان نبيا رسولا؟ كل ذاك الخلاف ينتهي حينما يقول الله تعالى ذلك، لكن ربنا عز وجل قال:" وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ فالأضواء كلها مسلطة على الحكمة التي آتاه الله إياه، لا على إذا ما كان نبيا أو رسولا، أو رجلا حكيما أو صالحا، أو عبدا، ولما لم يذكر الله تعالى أنّه كان نبيا أو غير نبي، كان معنى ذلك أنّ الباب مفتوح أمامك أيّها الإنسان لتكون حكيما".

(٣٤)نقله ابن مردويه عن ابن عباس، وعنه الآلوسي ينظر: روح المعاني(٢٢/ ٩٨).

(٣٥)رواه ابن جرير عن مجاهد، ينظر: جامع البيان(٢٢/ ٧٢).

(٣٦)هذا ما قاله ابن كثير، ينظر تفسيره(٦/ ١٦٣).

(٣٧)ينظر: مفاتيح الغيب(١٧/ ١٣٠)، روح المعاني(٢٢/ ٩٨).

(٣٨)ينظر: روح المعاني(٢١/ ٩٩).

(٣٩)روح المعاني(٢١/ ٩٩).

(٤٠)أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، رقم(١٩٥٧٤) عن الصحابي الجليل عبدالله بن عمر(رضي الله عنهما)، والبيهقي في: شعب الإيمان(٤/ ٩٦) برقم(٤٣٩٥)، وصاحب كنز العمال(٣/ ٤٥٩) برقم(٦٤١٩)، و شرح السنة للبغوي(٥/ ٥٠) برقم(٦٤١٩)، وعمدة القاري (١٤/ ١٧) وقيل: رجاله رجال الصحيح.

(٤١)المفصّل(٣٢٨).

(٤٢)الحفاية بتوضيح الكفاية(٢٧٦).

(٤٣)وهم البصريون ينظر: الجنى الداني(١٦٤).

(٤٤)الحفاية بتوضيح الكفاية(٤٣٩).

(٤٥)الجنى الداني(٥٨٩).

(٤٦)ينظر: مفاتيح الغيب(١٧/ ١٣١).

(٤٧)مفاتيح الغيب(١٧/ ١٣١).

(٤٨)الجنى الداني(٣٤٩).

(٤٩)حيث قال إبراهيم عليه السلام:" قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ" الصافات/ ١٠٢،، وقال نوح عليه السلام:" وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا" هود/ ٤٢، وقال يعقوب عليه السلام:" قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ"يوسف/ ٥، وهكذا.

(٥٠)الشعر هو لابن الفارض كما جاء في روح المعاني(٢١/ ٨٥).

(٥١)روح المعاني(٢٢/ ٧٤).

(٥٢)مفاتيح الغيب(١٨/ ١٣٢).

(٥٣)موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين(٢١٦-٢١٧).

(٥٤)المصدر السابق(٢١٦-٢١٧).

(٥٥)المصدر السابق(٢١٦-٢١٧).

(٥٦)المصدر السابق(٢١٦-٢١٧).

(٥٧)روح المعاني(٢٢/ ١٠٣).

(٥٨)روح المعاني(٢٢/ ١٠٥).

(٥٩)ينظر: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين(٣٥٣).

(٦٠)ينظر: الوابل الصيب من الكلام الطيب(٥٤-٥٥).

(٦١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه صحيح مسلم، رقم(٢٥٦) باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، وفي نسخ(٨٥)،عن الصحابي الجليل جابر بن عبدالله (رضي الله عنهما)، وسنن أبي داود رقم(٤٦٧٨) والترمذي(٢٦٢٠) وصحيح ابن حبان رقم(١٤٥٣) وسنن الدار قطني رقم (١٧٣٧) وسنن البيهقي رقم(٥٩٨).

(٦٢)أخرجه الأمام أبي داود في سننه رقم(٤٩٥) باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة؟ عن الصحابي الجليل عمرو بن شعيب عن أبيه وعن جده، وقال الألباني: حسن صحيح، ومسند أحمد رقم(٦٧١٧) وسنن الدار قطني رقم(٨٧٦) وسنن البيهقي رقم(٢٩٧٢).

(٦٣)ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب(٣١).

(٦٤)ينظر: في ظلال القرآن(٢/ ١٨٣).

(٦٥)موسوعة نضرة النعيم(١/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٦٦)كما فعلوه تجاه محمّد (صلى الله عليه وسلم) فيما أخرجه البخاري في صحيحه(٣/ ١١٦٣) رقم(٣٠١٤).

(٦٧)ينظر: في ظلال القرآن(٢/ ١٨١).

(٦٨)مفاتيح الغيب(٣/ ١١٣).

(٦٩)أخرجه الإمام البخاري في: الأدب المفرد، رقم(٢٧٣)، ومالك في: الموطأ(٢/ ٩٠٤)، رقم(١٦٠٩)، وأحمد في: مسنده (٢/ ٣١٨)، والبيهقي في: السنن الكبرى(١٠/ ١٩١)، رقم(٢٠٥٧١)، وابن سعد في: الطبقات(١/ ١٩٢) والحاكم في: المستدرك(٢/ ٦١٣) وقال :"صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي والألباني في صحيحه(١/ ٧٥).

(٧٠)ينظر: لسان العرب(١٦/ ٢٤٠) مادة(صعر) ولم نرَ مفسرا خالف في ذلك عند تفسيره لهذه الآية.

(٧١)في ظلال القران(٦/ ٤٨٧).

(٧٢)في ظلال القرآن(٦/ ٤٨٧).

(٧٣)روح المعاني(٢٢/ ١٠٧).

(٧٤)روح المعاني(٢٢/ ١٠٧).

(٧٥)جمع الشيخ الألباني طرقه الكثيرة في الضعيفة، وكلها لا يخلو من ضعف لجهالة الراوي، أو ضعفه، ومع ذلك أورده كثيرون في تفاسيرهم.

(٧٦)في ظلال القرآن(٦/ ٤٨٧).